٣ - فى الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

الكذب على رسول الله :

شر الرذائل كلها الكذب ، لا يختلف فى ذلك أحد ، وليس فى خلال الإنسان أسوأ من خلة الافتراء ، ولا فى أدواء الجماعات أعضل من داء البهتان

وإن كان الكذب بين الأفراد والجماعات مما يمكن تداركه والقضاء عليه ، فإن بلاءه ولا ريب يكون عميما وضرره يكون عظيما إذا كان على مثل رسول الله (ص) ، إن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ، إذ هو رسول دين عام ، وصاحب شريعة للناس كافة. وقد أخرج البزار وأبو يعلى والدارقطنى والحاكم فى الدخل عن سعيد بن عمرو بن نفيل قال : سمعت عليا روى البخارى وغيره عن ربعى بن خراش قال : سمعت عليا قال رسول الله « إن كذبا على ليس ككذب على أحد »

وقد أتت الرسالة المحمدية بأصول فى العقائد ليس لإنسان مهما بلغ من العلم أن يغير أصلا من أصولها ، وجاءت بأحكام للعبادات لا يجوز لأحد أن يزيد فيها ، أو ينقص منها ، أو يعدل شيئاً من صورها أو أزمانها ؛ لأن الدين كما هو معلوم للدارسين مبنى على أساسين (١) لا يعبد إلا الله (٢) ولا يعبد إلا بما أمر . وما عدا ذلك من نظم العمران ، وقواعد الاجتماع ، فقد وضع له الدين أسساً عامة من العدل والرحمة وعدم الضرر والصدق والأمانة والإحسان وما إليها من الفضائل ، وهذه الأسس العامة قد وضعت ليهتدى بها الناس فى كل زمان ، وتشرق بضيائها على كل مكان

فهذا الذى جاءت به الرسالة المحمدية وبخاصة ما نطق به الرسول ، لا يصح أن يشوبه ما ليس منه ، ولا يخالطه ما يغايره ، ومن أجل ذلك كان أشد ما يخشاه صلوات الله عليه أن يكذب أحد عليه ، وقد شدد فى هذا الأمر تشديداً عظيما حتى جعل جزاءه القتل فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة

اف فى طيلسانه طرر الأر ض فطاب الأديم من طيلسانه

ساحر ، فتنة العيون ، مبين فعسَّل الماء فى الربا بجمانه

عبقرى الخيال ، زاد على الطيـــف ، وأربى عليه فى ألوانه

صبغة الله ؛ أين منها رقائيـــل ، ومنقاشه وسحر بنانه ؟

رنَّم الروض جدولا ونسيما ونلا طيرَ أيكه فغنن بانه

وشدت فى الربا الرياحين همساً كتغنى الطروب فى وجدانه

كل ريحانة بلحن ؛ كمرس ألفت للغناء شتى قيانه

نغم فى السماء والأرض شتى من معانى الربيع ، أو ألحانه

هذه وتلك أيها السادة أبيات من قصيدتى شوقى فى الربيع ؛ وهما كما علمتم مما سمعتم مثالان من الشعر العالى الطبقة الرفيع النسق إذا وازناهما بالمأثور من الشعر المصرى فى هذا الباب ، وربما انقطع نظيرهما أو ندر فى الشعر العربى كله ! ولكننا إذا وازناهما بما قرأنا فى موضوعهما من الشعر الأوربى قالت كفتهما فى هذه الموازنة . فإن شوقى رحمه الله جرى على مذهب من سبقوه ، فلم يصف فيهما ربيعا بعينه ، فى إقليم بعينه ، بصح أن يخلط به نفسه ، ويضيف إليه شعوره ، ويعرض ما يرى فيه من شجر وطير وعطر وفتون ، على ما يجد فى نفسه من حب وذكرى ونشوة وصبابة ، فيأتلف النظر والناظر ، ويتحد الشعور والشاعر ؛ إنما وصف شوقى ربيعا عاما كما تخيله لا كما رآه ، وكما تمثله لا كما أحسه ، فجاء الوصف معجما مبهما قد يعجب ويطرب بألفاظه ، ولكنه لا يؤثر ولا يمرس بمعانيه . والقصيدتان على أى اعتبار مشاركة جميلة من الشعر المصرى للشعر العالى فى تمجيد ذلك السر الذى يبثه الله كل سنة فى الربيع ، فيعيد الحياة ، ويرجع الشباب ، ويجدد الأمل ، وينشر الجمال ، وينشأ عنه فى الدنيا هذا البعث العجيب !

يقول ، قال النبي : « لا تكذبوا على فإن من كذب على فليلج النار »

قال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث : يؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ (يلج النار) وفى رواية يولج. وروى البخارى عن أنس وأبي هريرة وفيهما زيادة لفظ (متعمداً) ورويت كذلك أحاديث فى غير البخارى بهذه الزيادة ، ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة — ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين — تدل على أن هذا الحديث لم تكن فيه تلك الزيادة ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبي (ص) قد نطق بها لمنافاة ذلك للعقل والخلق اللذين كان الرسول متصفاً بالكمال فيهما

وأقطع دليل فى هذا الأمر الحديث الذى رواه البخارى عن عبدالله بن الزبير الذى جاء فيه ، قلت للزبير : إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله كما يحدث فلان وفلان ؟ قال : أما أنى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » ورواه الدارقطنى بهذه الزيادة « والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً ! »

ورواية ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » — وقال — أراهم يزيدون فيه متعمداً ، والله ما سمعته قال متعمدا . وفى نسخة (أنهم) يزيدون (١)

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث « وفى تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه فى اختيار قلة التحديث دليل للأصح فى أن الكذب هو الإخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه سواء أكان عمدا أم خطأ ... إذ الإكثار مظنة الخطأ . . »(٢)

وقال الحاكم فى المدخل « إن موعد الكاذب عليه فى النار » وقد شدد (ص) فى ذلك وبين أن الكاذب عليه فى النار ؛ تعمد الكذب أم لم يتعمد ، فى قوله (ص) فيما رواه ابن عمر « إن الذى يكذب على يبنى له بيت فى النار » وقد زاد تشددا بقوله فيما رواه عثمان بن عفان « من قال على مالم أقل » فإنه إذا نقله غير متعمد للكذب استوجب هذا الوعيد من الصادق (٣)

(١) ص ٤٩ (١) ص ١٦٢ ج ١ فتح البارى
(٣) ص ٤٦ من رسالة تحذير الخواص للسيوطى

ومن روايات هذا الحديث « من نقل عنى مالم أقله فليتبوأ مقعده من النار » قالوا وهذا أصعب ألفاظه وأشقها لشموله المصحف واللحان والحرف

الكذب على النبي قبل وفاته :

لقد كذب على النبي صلوات الله عليه وهو حى ، فقد جاء فى كتاب أصول الأحكام لابن حزم الظاهرى (١) أنه كان حى من بنى ليث على ميلين من المدينة ، فجاءهم رجل وعليه حلة ! فقال إن رسول الله كساني هذه الحلة وأمرنى أن أحكم فى دمائكم وأموالكم بما أرى . وكان قد خطب منهم امرأة فلم يزوجوه . فانطلق على تلك المرأة ، فأرسلوا إلى رسول الله فقال : « كذب عدو الله » ثم أرسل رجلا فقال : « إن وجدته حيا فاضرب عنقه وإن وجدته ميتاً فحرقه بالنار »

وأخرج ابن سعد فى الطبقات والطبرانى عن القنع التميمى قال : « أتيت النبي بصدقة إبلنا فأمر بها فقبضت . فقلت إن فيها ناقتين هدية لك ، فأمر بعزل الهدية عن الصدقة ، فمكث أياماً وخاض الناس أن رسول الله باعث خالد بن الوليد إلى رفيق مضر فصدقهم ، فقلت والله ما عند أهلنا من مال ! فأتيت النبي (ص) فقلت له : إن الناس خاضوا فى كذا وكذا ! ! فرفع النبي يديه حتى نظرت إلى بياض ابطه وقال . « اللهم لا أحل لهم أن يكذبوا على » قال القنع : فلم أحدث بحديث عن النبي إلا حديثاً نطق به كتاب أوجرت به سنة (٢) يكذب عليه فى حياته فكيف بعد موته ؟ »

وفى هذا الكلام فوائد كثيرة لا نطال ببيانها

الكذب على النبي بعد وفاته

وإذا كان قد كذب عليه فى حياته ، فإن الكذب قد كثر عليه بعد وفاته صلوات الله عليه وكبار الصحابة متوافرون . وقد استفاض هذا الكذب بعد وفاة عمر لأنه كان — كما علمت — يخيف الناس حتى أقزعت كثرة الأحاديث على رسول الله كبار

(١) ص ٥٨٢ ج ٢
(٢) أى سنة عليكم إذ لم تكن تعرف السنة حينئذ إلا بذلك

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سودى يا بريطانيا واحكمى

هذا هو نشيد القوم وحداؤهم ، ولكنه ليس هتافا تردده الألسنة والحناجر ، وتقعد عن تحقيقه الهمم والعزائم ، وإنما هو دينهم الذى ارتضوه ، ومذهبهم الذى اعتنقوه ، يقدمون أرواحهم فداءله ، ويستعذبون الردى فى سبيله ، ولاعجب فإنهم يقولون «إذا ذهبنا فاجلترا باقية»

وبريطانيا التى أحدثك اليوم عنها أيها الصديق الكريم هى سيدة البحار ، وحاملة لواء الاستعمار ، زعيمة الديمقراطية ، و«دينامو» السياسة الدولية ، وهى تجثم على صدر العالم وتتحكم فيه ، ولذلك تلمس فى جميع المشاكل القائمة الأصابع البريطانية

ومن واجبنا نحن الشرقيين أن نعرف مواطن الضعف فى أنفسنا فنعمل على إزالتها ، يدفعنا إلى ذلك عاملان : أولهما حبنا لأوطاننا وحريتنا ، ونحن إذ نفعل ذلك لا نبغى إثما ولا عدوانا ؛ وإنما نريد أن نعيش أحرارا كراما .. وثانيهما أن ديننا يأمرنا بذلك ، فهو يطلب إلينا أن نكون أعزة فى بلادنا ، وقد وعد الله المجاهدين منا إحدى الحسنيين ، فإما نصر فى الدنيا وعزة وكرامة ، وإما استشهاد وقد كرم الله الشهداء حيث قال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ووعدهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .. لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما

وعندى أنه لكى تحقق الأمة آمالها وأهدافها لابد لها من أمرين : أولهما إيمانها بقضيتها ، ذلك أنه لا انتصار لأمة لا تؤمن بحقوقها ويختلف أفرادها فى حقيقة مطالبها ، فإن هذا الخلاف يستغله الغاصب الأجنبى لإيقاع الفرقة فى صفوف أبنائها مما يؤدى إلى انحلالها ، وهذه السياسة هى ما اتفق على تسميته بسياسة « فرق تسد »

الصحابة وأمضتهم

فقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده عن طاووس قال : جاء هذا إلى ابن عباس (يعنى بشر بن كعب) فجعل يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له . فقال : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا ؟ أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟

فقال ابن عباس : « إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه ! فلما ركب الناس الصعبة والذلول تركت الحديث عنه »(١)

وجاء بشر العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول ، قال رسول الله ! قال رسول الله ! قال . فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ! فقال . يا ابن عباس ، مالى أراك لا تسمع لحديثى ؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع ؟ قال ابن عباس إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول ، قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف

وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال : لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث ، فلما وقعت الفتنة(٢) سئل عن إسناد الحديث ؛ فنظر من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ، ومن كان من أهل البدع ترك حديثه

نجتزئ بهذه النصوص التى تدل على أن الرسول (ص) قد كذب عليه فى حياته وبعد مماته ، ولم يكن ذلك من أصحاب البدع والأهواء فحسب ، ولكن كان من الصالحين — كما سنبين ذلك فى فصل (الوضاع الصالحون) إن شاء الله

المنصورة . محمود أبو ريه

---

(١) إذا كان الناس قد ركبوا الصعبة والذلول فى عهد ابن عباس ، فما ظنك بمن جاء بعدهم ؟ (٢) حقا أن وقوع الفتنة بين الصحابة كان سبب كل بلاء دخل على الإسلام ، ولقد كان من أشد أضرار هذه الفتنة الكذب على رسول الله ، فكان كل فريق يؤيد رأيه بحديث ينسبه الى الرسول ليكون ذلك أشد تأثيراً فى النفوس